

" نظرية الأدب "

السنة الثانية

د. حسن الأحمد

المحاضرة الثالثة

مفهوم الأدبية في النظرية الأدبية الحديثة

يقصد بالأدبية:

"مجموعة المعايير والتقاليد التي يُحكم بموجبها على عمل ما أنه أدبي، وتفرّق بين مستوى ومستوى آخر من مستويات القيمة في النص، وهذه المعايير يجب أن تكون متكاملة ومتفاعلة فيما بينها.

أهم ما في التعريف:

- وجود معايير محددة للحكم.

- ضرورة أن تعمل العناصر معاً وليس بشكل منفصل؛ أي أن يتكامل كل من: الصورة - اللغة - الإيقاع - المعنى...؛ إذ لا قيمة منفردة لعنصر واحد في تشكيل الأدبية.

- وجود مستويات للأدبية، أي مستويات متفاوتة في الأعمال التي تنتمي لحقل الأدب، وهذا راجع إلى "الطاقة الأدبية"؛ أي وجود العناصر وكيفية عملها معاً.

ويتجلى مفهوم الأدبية بشكل أوضح من خلال مجموعة من المفاهيم المرتبطة به، والتي لا يمكن النظر إلى الأدبية إلا من خلالها، أو يمكن أن تشكل محاور لازمة في أثناء أي بحث في مفهوم الأدبية، وهي:

١ - الأجناس الأدبية:

أي الأنواع التي ينقسم إليها الأدب، ولكل جنس من هذه الأجناس أديته الخاصة فيه.

فكما سلف لكل جنس شروطه وخصائصه وبالتالي عناصره الفنية وتقنياته التي تأسس عليها، وعليه: هناك أدبية صالحة لكل أنواع الأدب، وأدبية خاصة بكل جنس أدبي.

وعادة يتم الحديث عن عناصر أدبية رئيسة في جنس ما كالرواية مثلاً (الشخصيات - الزمان - المكان - الأحداث...)، وعناصر ثانوية يمكن أن تكون موجودة في أجناس أخرى بشرط ألا يتحول العنصر الرئيس في جنس ما إلى عنصر رئيس في جنس آخر.

مثلاً: الحوار عنصر رئيس في جنس المسرحية، وثنائي في الشعر، والوزن عنصر رئيس في الشعر، ويمكن أن يكون في النثر لكن بشكل ثانوي.

وعليه يمكن القول: إن نظرية الأدب تقدم وصفاً دقيقاً للعناصر المكونة لكل جنس أدبي، بشكل يصح فيه القول إن لدينا نظرية للشعر، ونظرية للرواية، ونظرية للمسرح...

٢- النص الأدبي:

النظرية الأدبية نظرية موضوعية؛ لأن مجال عملها هو "النص" الذي هو سلسلة من الأحداث اللغوية المنتظمة في "بنية"، تشمل مختلف العناصر: الصورة - اللغة - الإيقاع - الدلالة...، ومن أهم صفات النص:

- الكتابة (الثبات وعدم القابلية للتعديل)
 - التنظيم
 - التفاعل بين العناصر
 - الإخراج (العنوان - شكل الكتابة - طريقة رصف الكلمات)
- وهذا كله له علاقة في النهاية بالدلالة / المعنى الذي يريد الكاتب قوله.

٣- القراءة:

مفهوم الأدبية محكوم بوجود قارئ "نوعي" وليس بقارئ عادي، وبالجنس الأدبي الذي يوجّه عملية التلقي.

إذ في فعل القراءة علينا بداية أن نتمثل عناصر الجنس الأدبي ونعرفها ونعرف تقنياتها، ومن خلالها نستطيع أن نحدد موقع النص المقروء.

وسيكون لنا عودة مفصلة إلى مفهوم القراءة في مبحث خاص، لكن المهم هنا الإشارة إلى مصطلحين مهمين هما:

- المسافة الجمالية: بين الفن الموجود في العمل الأدبي، وخبرة القارئ الجمالية.
- أفق التوقع / أفق الانتظار: أي إن لكل قارئ تجربته السابقة مع الجنس الأدبي التي يستحضرها في أثناء قراءة نص ما، فإما أن يوافق توقعاته، أو يغيرها، أو يخيبها.

٤- السياق:

هو عبارة عن عوامل مشتركة تتعلق بصاحب العمل الأدبي، والمحيط، والقارئ، ويقتضي وجود ثلاثة عناصر:

١) عنصر ذاتي (معتقدات الكاتب) .

٢) عنصر موضوعي (الظروف الزمانية والمكانية) .

٣) عنصر اتصالي (المعرفة المشتركة بين القراء).

وسياقات أي عمل أدبي متعددة، تشمل التاريخ والثقافة والبيئة واللغة والمجتمع والاقتصاد والسياسة...

والأدبية لا تهتم من هذه السياقات إلا بما له علاقة بالعمل الأدبي ، بما يساعد على فهمه وتأويله وتفسير الظواهر الأسلوبية التي فيه.

٥- المؤلف:

في تقاليد الأدبية لا قيمة كبيرة للمؤلف/الكاتب، فالمهم هو الأدب/النص، ويُطرح هنا مصطلح "موت المؤلف" بمعنى حضور النص والقارئ، لأن المؤلف ينتهي دوره بمجرد خروج النص إلى القارئ، ويصبح البحث فيه مقصوراً على الاستفادة من حياته وظروف تكوينه ومراحل نشأته بوصفها مؤثرات تساعد في فهم النص، وليس النص هنا مجرد انعكاس لشخصية الكاتب.

٦- تداخل النصوص/ تفاعل النصوص/ التناص:

تنظر الأدبية إلى النص على أنه شبكة عمليات معقدة من التفاعل مع الكاتب والمجتمع والنصوص الأخرى التي من الجنس الأدبي نفسه أو من غيره، وكذلك مع كل ما في الحياة من معارف وعلوم وأديان وأساطير...

وهذا التفاعل يخضع في نظرية الأدب لآليتين بارزتين هما:

١. الاستدعاء: الاقتباس الحرفي وغير الحرفي، والواعي وغير الواعي، والاستحضار، وقلب المعنى، والمبالغة في المعنى المأخوذ.

٢. التحويل: لا يعد التداخل النصي تفاعلاً إلا إذا تم تحويله وإعادة تشكيله في سياق جديد وإلا أصبح سرقة.

وهذا التحويل أمر فني وطبيعي؛ لأنه إعادة تشكيل للمأخوذ وفق رؤيا الكاتب والجنس الأدبي الذي يكتب فيه والوظيفة التي لأجلها قام بالتفاعل مع نصوص أخرى.